ألقاب اللهجات:

شـــغلت لهجة قريش مكانة كبيرة عند القدماء، وكانت الســـبب في نظرتهم إلى اللهجات الأُخر نظرة أدت إلى أن تســـمى بألقاب مذمومة ؛لمخالفتها العربية الفصـحى، ولهجة قريش التي حقق لها السيادة عوامل دينية ، وسياسية، واقتصادية، فضلا عن انتقائها الألفاظ السلسة والسهلة؛ لتنسجم وبيئتها الحضرية.

والواقع اللغوي يدلنا إلى أن العربية المشتركة نشأت من عدة لهجات، ثم توحدت باللغة النموذجية المثالية، كما هو الحال في معلقات العصـر الجاهلي ، وعند نزول النص المعجز قال تعالى إنه قرآن عربي ، ولم يتخصص بقبيلة معينة وهذا ما يظهر بوجود لهجات متعددة فيه.

وبوجود تلك اللغة المتوحدة ، احتفظت القبائل العربية بخصـائصـها اللهجية، التي أمدت القراءات القرآنية، والشـــعر، واللهجات الحديثة، بمفرداتها المميزة لها .ومن تلك الألقاب هي:

١-الاستنطاء:

وهو جعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء، ولها مثال واحد هو (أنطى) بدلاً من (أعطى)، ومن شـواهده: القراءة القرآنية بقراءة الحسـن البصـري(١١٠هـ)، وطلحة بن مصـرف(١١٣هـ)، وغيرهما: (إنا أنطيناك الكوثر)، في ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ســورة الكوثر ١ ، والحديث النبوي: ((اليد العليا المنطية، واليد الســفلى المنطاة))، وأرجعها التبريزي الى العرب العاربة(١).

(١) البحر المحيط: ٨/٥٢٠.

وروي هذا اللقب عن لهجة سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار، كما روي أنه لغة أهل اليمن، وهذا الإبدال موجود في العراق حتى اليوم، وفي لغة الأعراب بصحاري مصر، وتفسير هذه الظاهرة أن العين قلبت نوناً، وهذا ما لا تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة؛لأن العين تختلف اختلافاً صوتياً كبيراً عن النون، فالعين صوت حلقي احتكاكي مجهور، والنون صوت لثوي أنفي مجهور.

ومن المعروف أن الإبدال يحصل عندما يكون هناك تقارب بين الصوتين ، من ناحية المخرج الصوتي، أو الصفة، ويفسر الدكتور إبراهيم السامرائي هذه الظاهرة، فيرى أن (النون) لم تقابل (العين) في (أعطى)، إنما جاءت من الفعل (آتى) بمعنى (أعطى) ثم ضُعِّفَ الفعل فصار (أتَّى) بتشديد التاء، ومن المعلوم أن فك الإدغام في العربية وفي غيرها من اللغات الجزرية، يقتضي إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين، كما نقول في (جَنْدَل) وهي من (جَدَّلَ)[1].

وعلى هذا التفسير، يكون التقارب بين النون والتاء، من مخرج الأصوات الأسنانية اللثوية، وهنالك رأي آخر لا يشترط التقارب في المخرج الصوتي أو اتحاده[2]، وعليه ليس لزاماً علينا، قبول التفسيرات الصوتية المتكلفة السابقة.

٢- الطَّمطَمانية:

يعزا هذا اللقب إلى طيء والأزد ، وقبائل حمير في جنوبي الجزيرة العربية، ونجد العزو يدور حول قبائل جنوبي اليمن[3]، وهو عبارة عن

---

(١) فصول في فقه العربية :١٢٠-١٢٣.

(٢) الإبدال(أبو الطيب اللغوي) :١/٢٠٥.

(٣) اللهجات العربية في التراث :١/٣٩٩.

إبدال لام التعريف ميماً فيقال مثلاً: طاب أمهواء ، وصـــفا أمجو، أي طاب الهواء، وصفا الجو.

وجاء رجل إلى النبي سائلاً: هل من امبر امصيام في امسفر؟ فأجابه الرسول بلهجته؛ ليفهمه الحكم الشرعي قائلاً: ليس من امبر امصيام في امسفر، يقصد:ليس من البر الصيام في السفر[1]، وبذلك تستوي (أل) الشمسية، و(أل) القمرية في إبدال لامها ميماً.

والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة هو أن اللام والميم من فصيلة واحدة، هي فصيلة الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، أو كما يسميها المحدثون (الأصوات المائعة)، وهي: (ل م ن ر)، وتشترك بصفة الجهر، وهذه الأصوات يبدل بعضها من بعض كثيراً في اللغات الجزرية، وهي أكثر الأصوات شيوعاً في هذه اللغات.

ولا تزال هذه الظاهرة شـــائعة في بعض جهات اليمن، كما أن منها كلمة في اللهجة المصـــرية وهي كلمة (البارحة) التي ينطقها المصريون:(امبارح).

والطُمطُمانية -بضـــم الطاءين- هي أن يكون الكلام مشـــبهاً لكلام العجم[2]، وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء(١٥٤هـ) قوله: ((ما لسان حِمْير وأقاصي اليمن لساننا، ولا عربيتهم عربيتنا))[3].

٣- العجعجة:

هي قلب الياء المشددة والخفيفة جيماً في الوقف فقط، وعدا الوقف لا يجوز وإنما يدخل في باب الضرورات؛ والسبب في ذلك أن النطق بالياء

---

(١) لسان العرب : (برر).

(٢) خزانة الأدب :١١/٤٩٤.

(٣) المزهر:١/١٣٧.

يزداد خفاء بالوقف لسكونها لهذا أبدلوا منها الجيم، والجيم أظهر من الياء، أما في حالة الوصل فلا حاجة إلى الإبدال؛ لأن الياء واضحة وظاهرة، وتنسب هذه اللهجة إلى قضاعة، وحنظلة، وناس من بني سعد، وبعض أهل اليمن، وطيء وغيرهم[١]، وهو انتقال من اليسر النطقي إلى العسر والشدة؛بقصد التفخيم في الكلام، وهو ما يناسب البدو[٢].

ومثال العجعجة (تميميّ) تصبح (تميمج)، وكقول الراجز:

أقمرُ نهاتٌ ينزي وفرتج

يريد حجتي وبي ووفرتي، وهي أمثلة لياء المتكلم غير المشددة، وبعض من بني تميم قالوا: (شَيَرَة) لـ(شَجَرَة)، أي تبديل الجيم إلى ياء، وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم:

إذا لم يكن فيكنّ ظِلٌّ ولا جَنًى — فأبعدكُنَّ اللهُ من شَيَراتِ!

تريد (شجَرات)[٣].

وتشيع هذه الظاهرة في عصرنا الحاضر ، في بعض قرى جنوبي العراق وبلدان الخليج العربي، فيقولون (مَسْيِد) و(دياي) في (مسجد) و(دجاج)[٤] .

والتعليل الصوتي لهذا الإبدال أن العلاقة بين الجيم والياء واضحة، فكلاهما مجهوران، ومن مخرج واحد (الغاري)، فهما متحدان صفةً ومخرجا.

---

(١) اللهجات العربية في التراث :١/٣٧٥، ٣٧٩ .
(٢) في اللهجات العربية :١١١ .
(٣) الإبدال (أبو الطيب اللغوي) :١/٢٦١-٢٦٠.
(٤) فصول في فقه العربية : ١٣٣.

٤- العنعنة:

اختلف اللغويون في تحديد المراد بهذا اللقب، فعند الفراء (٢٠٧هـ) وثعلب (٢٩١هـ) إبدال الهمزة في (أنّ) أو (أنْ) إلى (عين)، فنص الأول على ذلك صراحة ((لغة قريش ومن جاورهم:أنّ، وتميم، وقيس، وأسد، ومن جاورهم، يجعلون ألف أنَّ إذا كانت مفتوحة عيناً ، يقولون:أشهد عنَّك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف))[١] ، أما الثاني فقال((فأما عنعنة تميم فان تميما تقول في موضع أنّ:عنّ، تقول:ظننت عنَّ عبد الله قائم))[٢] ،وحسم الأمر ابن يعيش ((ولا يجوز مثل ذلك في المكسورة))[٣] ، ولم يخصصها السيوطي بـ(أن) المفتوحة وحدها،إنما اشترط أن تكون الهمزة مبدوءاً بها،((فيقولون في أنكَّ: عَنَّك، وفي أَسْلم: عَسْلم، وفي أُذُن: عُذُن))[٤].

فهناك نقطة اشتراك بين الآراء السابقة، هي البدء بالصوت الأول، في هذا الإبدال؛لتحقيق النبر والضغط ، بزيادة كمية الهواء المنبعث من الرئة؛ليمهد الوضوح السمعي بالعين المجهور، وموضع الاختلاف أن السيوطي لم يحدده بأن، مما يجعلنا لا نقبل بذلك الوصف اللغوي المختلف؛ كون الاستقراء يحكم بأنه عام، لا يتخصص بموقع واحد للهمزة، كما ذكر الخليل (١٧٥هـ)((الخبْعُ:الخبْءُ، في لغة تميم، يجعلون بدل الهمزة عينا))[٥]، فيقع هذا الإبدال في البداية، والوسط مثل(السأف

---

(١) لسان العرب: (عنن).

(٢) الخصائص:٢/١١.

(٣) شرح المفصل :٨/١٤٩.

(٤) المزهر:١/١٧٦.

(٥) العين : (خبع)، فصول في فقه اللغة :١٣٦-١٣٧ .

والسعف)، والنهاية[1]، فاضطراب الرواية السابق ((ليس له من سبب سوى أن استقراء الرواة لأمثلة هذه الظاهرة الصوتية كان ناقصا))[2].

والتعليل الصوتي لهذه الظاهرة أنها محاولة للجهر بالصوت ؛لأن الهمزة ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة في رأي،والرأي الآخر أنها مهموسة، ومخرجها حسب الرأي الحديث من الحَنجرة ، ولا عمل للوترين الصوتيين معها، ووصفت الهمزة أنها من الأصوات الشديدة، وأن أهل البادية يحققونها في لهجاتهم، فحين يبالغ في التحقيق ويراد أن تكون أوضح في السمع، يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجاً، هو العين؛ لان العين من الأصوات المجهورة[3]، ويذكر صاحب تهذيب اللغة :أنها تمثل تحقيق الهمز[4].

وقد اشتهر بنو تميم بهذا الإبدال ونسب إليهم بعنعنة تميم، ويمكن أن نعزوها إلى

البدو، كقيس وأسد التي كانت تميل إلى الجهر بالأصوات ؛لتجعلها واضحة بالسمع[5].

وهذه الظاهر موجودة لحد الآن، في بعض اللهجات العربية الحديثة، ومنها التي تتاخم الصحراء، فتسمع في كل مدن تهامة* من يقول:(عالة)في (آلة)، و(العمام)بدلاً من(الإمام)، وبعض أهالي صعيد

---

(١) اللهجات العربية في التراث :٣٦٩/١.

(٢) في اللهجات العربية :٩٧ .

(٣) نفسه.

(٤) تهذيب اللغة :٤٩٦/١٥.

(٥) اللهجات العربية في التراث :٣٦٥/١-٣٦٦.

مصـر ، والعراق يقولون:(لع)في(لأ)، والسـودان يقولون:فلان سـعل عليك يريدون:سأل عليك[١] ، وفي جنوبي العراق من يقول: القرعان يريد القرآن.

٥-الفحفحة:

هي قلب الحاء عيناً، وتنسـب إلى هُذيل، وقرأ ابن مسـعود[٢]:((عتّى حين))في قوله سبحانه ﴿حَتَّى حِين ﴾يوسف ٣٥.

وهناك بعض الملاحظ التي تسجل على الفحفحة:

أ- ورد عن ابن مسعود أنه قرأ بإبدال العين حاء، أي على عكس الظاهرة المعزوة إلى قومه، وهي إبدال الحاء عيناً؛مما يبعث على الشك في نسبته إلى ابن مسـعود، فقرأ :((قالوا نحم)) في قوله سـبحانه﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ الأعراف ٤٤، وقرأ((أفلا يعلم إذا بحثر ما في القبور))في ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ﴾العاديات ٩، والتعليل الصـوتي لها أن الثاء المهموسة أثرت في العين ، وجعلتها مهموسة أيضاً ، وحين تهمس العين تصبح حاء[٣].

ب- لم يؤثر عن هذيل أنها قلبت الحاء عيناً في غير هذا المثال، ومثال واحد لا يكفي لإثبات ظاهرة لهجية .

ج- قراءة ابن مسـعود لا تجزم بأنها عكسـت لهجة قومه هذيل، وهناك بعض القراء يخالفون لهجاتهم، والعلاقة الصـوتية بين الاثنين أنهما من الأصـوات الحلقية، والحاء المهموس النضـير للعين المجهور، والتعليل

---

(١) في اللهجات العربية :٩٧ ، فصول في فقه اللغة :١٧٣.

(٢) همع الهوامع: ٤٢٥/٢.

(٣) في اللهجات العربية: ٩٦.

الصوتي لقراءة ابن مسعود أن العربي يستثقل الحروف المتماثلة، فيحاول أن يخالف بينهما طلبا للخفة[١]، وحدَّدَ ابن جني العلاقة بين الصوتين: ((لولا بحة في الحاء لكانت عيناً))[٢].

د- كلمة الفحفحة بالمقارنة بين ألقاب اللهجات الأُخر، مثل الاستنطاء، والعجعجة، والطمطمانية، وغيرها،نجد أن الحرف المقلوب إليه هو الذي يثبت في الكلمة، وعلى هذا علينا أن نعرّف الفحفحة عكس التعريف السابق، أي قلب العين حاء، ولو قُلب العين إلى الحاء لأمكن القول أن قبيلة هذيل الحضرية قد قلبت العين (المجهور) إلى الحاء (المهموس)، فنحن بين أمرين؛ إما أن نفسر الفحفحة على أنها قلب العين حاء، أو نغير نسبتها لهذيل إلى قبيلة أخرى بدوية مثل (تميم)[٣].

٦- الكشكشة:

إبدال الكاف المؤنثة في الوقف شيناً، وقد ذكرها سيبويه في باب(الكاف التي هي علامة المضمر):((فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين .وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف؛ لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث)) [٤] ، ويعزى هذا اللقب لتميم، أو ربيعة، أو بكر بن وائل، أو أسد[٥].

---

(١) اللهجات العربية في التراث: ١/٣٧٢-٣٧٣.

(٢) سر صناعة الإعراب: ١/٢٤١.

(٣) في اللهجات العربية: ٩٥-٩٦.

(٤) كتاب سيبويه :٤/١٩٩.

(٥) اللهجات العربية في التراث:١/٣٥٩.

واختلف في الكشكشة ((على ثلاثة مذاهب:قسم يثبت الشين في حالة الوقف، وهو الأشهر، وقسم يثبتها في الوصل أيضا، وقسم يجعل الشين مكان الكاف ويكسرها في الوصل، ويسكنها في الوقف))[1] ، ومن أمثلة إبدال كاف المؤنث شـــينا في الوقف[2]: (جعل الله البركة في دارش)، ومثال قلب كاف المؤنث شينا في الوصل، قول مجنون ليلى:

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وَجِيدُشِ جِيدُهَا وَلَكِنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْشِ دَقِيقُ

ومن شـواهد القلب في الوصـل قراءة بعضـهم((قد جعل ربش تحتش ســريا)) في قوله تعالى ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَـرِيًّا} مريم ٢٤، وقُرئ: ((إن الله اصـــطفاشِ وطهرشِ)) في قوله ســبحانه:﴿إِنَّ اللَّهَ اصْـطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ آل عمران ٤٢.

وتفسير هذه الظاهرة عند المبرد((لقرب الشين من الكاف في المخرج، وأنها مهموسة مثلها، فأرادوا البيان في الوقف، لان في الشين تفشيا))[3] فإن القبائل الناطقة بالكشكشة، حرصت على إظهار الحركة الأخيرة إذا كان في الوقف فيها يظهر اللبس، فالوقف على كاف المؤنثة بالســكون يجعلها تلتبس بكاف المخاطب، ولبيان الفرق بينهما قلبت كاف المؤنثة شيناً، ثم توسعوا في ذلك فقلبت في حال الوصل أيضا[4].

ويمكن تسجيل الملاحظ الآتية عن الكشكشة:

أ-هي مقيدة بكاف مكسورة.

---

(١) اللهجات العربية في التراث: ١/ ٣٦٠.

(٢) فصول في فقه اللغة :١٤٣-١٤٤.

(٣) الكامل :١/ ٣٧١.

(٤) اللهجات العربية في التراث :١/ ٣٦١ .

ب-ليست الكشكشة مقيدة بالوقف، فقد تأتي في آخر الكلمة أو الجملة .

ج- لا بد فيها من إبدال صوت الكاف بالشين، وليس إلحاق الكاف بالشين في تعبير القدماء، فتحول الكاف إلى صوت من الأصوات المزدوجة بما يسمى (بقانون الأصوات الحنكية)، الذي وصل إليه العلماء في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، بمقارنة اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية، واللاتينية، ولاحظوا فيه أن أصوات أقصى الحنك كالكاف والجيم الخالية من التعطيش، كالجيم المصرية تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أمامية حين يليها صوت لين أمامي(كالكسرة)؛ فالكسرة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك أو أصول الثنايا العليا(١).

وهذا معناه أن الكاف المكسورة تتحول إلى صوت مزدوج هو (تْشْ) وهذه هي الكشكشة، وهذا الصوت موجود في الانجليزية في مثل (children)، وما تزال هذه اللهجة تسمع في جنوبي العراق والكويت والبحرين، وبعض قرى محافظة الشرقية في مصر؛ إذ تسمعهم يقولون (تْشَلْب) في (كلب) مثلاً(٢)، وهنا ساد صوت الشين على التاء ؛للتفشي الذي فيه.

نماذج من الاختلاف اللهجي:

أولا- كسر أول الفعل المضارع: المشهور في حرف المضارعة للفعل الثلاثي أن يكون مشكلاً بالفتح في الحالات كلها، وبهذا جاء القرآن الكريم، وهذا هو المألوف في اللغة النموذجية الأدبية. غير أن الرواة يؤكدون لنا أن كثيراً من القبائل تنطق بحرف المضارعة حين تكون (تاء) أو (نوناً) أو (همزة) مكسوراً[1].

وذكر ابن منظور(٧١١هـ) قولا عن سيبويه ((وتِعْلَم، بالكسر: لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب، وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون تَعْلَم، والقرآن عليها، قال وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا تِعلم، بالكسر، قال:نقلته من نوادر أبي زيد))[2] ، معنى هذا أن صوت الكسرة الصعب، المدور الضيق يناسب البدو، الذي عُزي لهم هذه الظاهرة اللهجية.

وجاءت قراءة عيسى الثقفي ((سَنِفْرَغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ)) بكسر النون، وفتح الراء[3] في قوله تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلاَن﴾ الرحمن ٣١ ، وقراءة أبي عمرو ((وَلاَ تِرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا))بكسر التاء على لغة تميم[4] في قوله سبحانه ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هود١١٣.

وهذه الظاهرة تعرف عند القدماء ب(التلتلة) وتنسب إلى (بهراء) ((وأما تلتلة بهراء، فإنها تقول ، تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون بكسر أوائل

---

(١) في اللهجات العربية :١٢١.

(٢) لسان العرب: (وقى) ،الصاحبي:٢٩.

(٣) المحتسب :٢/٣٠٤ .

(٤) البحر المحيط:٥ /٢٨٦.

الحروف))[1] ، ويبدو ((من كلام اللغويين أن جميع العرب يلتزمون الفتح، حين يكون حرف المضارع (ياء) فيما عدا قبيلة بهراء، التي عرفت لهجتها بكسر هذا الحرف مع الياء أيضا))[2]، وهذه القبيلة كانت نازلة في الشام بالقرب من العراق[3]، وأغلب الظن أنها تبعت اللغات الجزرية المجاورة لها، كالآرامية والعبرية اللتين اطرد فيهما كسر حرف المضارعة[4].

الراجح أن الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح ، ثم تطور إلى كسر في معظم اللغات الجزرية، غير أن تطوره في لهجات العرب لم يشمل حالة الياء ؛لأن الياء المشكلة بالكسر نادرة الشيوع في النطق العربي؛ ولأن الياء مع الكسر أشق منها مع الفتح؛ لذلك احتفظت معظم القبائل شكل حرف المضارعة بفتحة حين يكون ياء[5].

واللغة العبرية تكسر حرف المضارعة في معظم الأوزان، وأن بعض لهجاتنا العامية تميل إلى كسر حرف المضارع، نحو: يِلْعَب، يِنام، يِصلي، يِستغفر[6].

---

(١) سر صناعة الإعراب :١/٢٣٠.

(٢) في اللهجات العربية :١٢١.

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية :١٣٨ .

(٤) في اللهجات العربية :١٢٢، اللهجات العربية في القراءات القرآنية :١٣٩ .

(٥) في اللهجات العربية :١٢٢.

(٦) اللهجات العربية في القراءات القرآنية :١٣٧ .

ثانيا- تسهيل الهمز: الهمز في اللغة بمعنى الدفع والغمز، فإذا قلنا هَمَزَه بمعنى دفعه وضربه، وهي بمعنى العصر(١)، والهمزة صوت مَثَّل مشكلة معقدة بين القدماء والمحدثين ؛بسبب مخرجه وصفته، وعدم استقراره، وعلاقته مع أصوات المد.

فيما يخص المخرج الصوتي فقد عد القدماء الهمزة من أقصى الحلق(٢)، وعند المحدثين صوت حنجري، وهي مرحلة سابقة للحلق(٣)، والاختلاف في ذلك هو اتساع منطقة الحلق عند القدماء وتضييقها عند المحدثين.

والهمزة صوت غير مستقر؛ يعزى إلى صعوبته في النطق، وله أكثر من صورة وهي: التحقيق، والتخفيف، والبدل(٤).

والتخلص من الهمزة نوع من الميل للسهولة ؛لأن نطقها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية ؛لذلك مالت اللهجات الجزرية إلى التخلص منها في النطق(٥).

وتحقيق الهمزة أو تسهيل نطقها ظاهرتان موجودتان في المستوى اللغوي، فالأول يعني إعطاء الصوت حقه بالهمز، من جهة المخرج، أو الصفة نحو قرأت ورأس، والثاني: التغيير الحاصل على الهمزة بصوره المتعددة ، هي: بين بين كنطق البئر بير، والبدل مثل الجؤنة تنطق الجونة، والحذف نحو العلماء تنطق العلما(٦).

---

(١) لسان العرب :(همز).

(٢) العين :٥٢/١ ، كتاب سيبويه :٤٣٤/٤ .

(٣) علم الأصوات (كمال بشر):٢٩٢ .

(٤) كتاب سيبويه:٥٤١/٣.

(٥) في اللهجات العربية :٦٨.

(٦) كتاب سيبويه :٥٤١/٣ ، سر صناعة الإعراب :٤٨/١.

وهناك فرق بين التخفيف والتسهيل، فالأول: يشمل حذفها، كما في (مسألة) تصبح (مَسَلَة)، وقلبها إلى حرف آخر، نحو(مؤمن) تصبح (مُومن)[1] ، أما الثاني: فيسمى نطقها (بين بين) ، وهو تليين صوتها وتقريبه من حرف اللين الذي منه حركتها، أي تصبح بين الحروف الحلقية والحروف الجوفية(ا و ي)، وهمزة (بين بين) لا تتكون في أقصى الحلق، حيث تتكون الهمزة الأصلية بل في الموقع الواقع بين الحلق وجوف الفم؛ لذلك يطلق عليها (بين بين)، ويصبح صوت الهمزة ضعيفا جداً حتى يقال أنه قد اقترب من الحروف الجوفية[2]، وهو على نوعين،الأول: بين بين المشهور، وهو أن تحذف الهمزة وينطق بحركتها فقط ، مثل (أإن) تصبح (أِن)، (سأل) تصبح (سال)، (سئم) تصبح (سيم)، (لؤم) تصبح (لوم)، والثاني: هو (بين بين) البعيد، وهو أن تحذف الهمزة وينطق مكانها بحركة من جنس حركة ما قبلها، نحو (سُئِلَ) تصبح (سُئُلَ)[3].

واشتهر أن ينسب تحقيق الهمزة إلى القبائل البدوية ،كتميم وقيس وأسد ومن جاورها ،أي وسط شبه الجزيرة العربية وشرقيها، وتسهيلها ينسب لمعظم البيئة الحجازية فالهمزة صوت شديد حنجري وصعب في النطق، فهو يناسب البيئة البدوية، والتخلص منها جنوح إلى التسهيل، وهو ما عرف عن اللهجات الحجازية الحضرية[4].

---

(١) المحيط في أصوات العربية:١/٨٤-٨٥ .

(٢) اللهجات العربية في التراث :١/٣٢٣.

(٣) المحيط في أصوات العربية:١/٨٥.

(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ١٢٥.

ولكن الحكم المار الذكر ليس عاماً ولا يلتزم حالة واحدة في قضية اللهجات، فليست القوانين التي تخضع لهذه اللهجات كالقوانين الطبيعية في الكون ،تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها، واللهجات تخضع للبيئة والمجتمع فهي مرنة متقلبة[١]، وقد ((مثلت القراءات أنموذجاً لعدم التسرع في الحكم على اشتهار بيئة دون أخرى بقضية صوتية، ومنها تحقيق الهمزة أو تخفيفها)) [٢]، فمن القراء مَن وافق بيئته،ومنهم من خالفها ،فكُتب((القراءات تكاد تجمع على أن أبا جعفر ونافعاً من رواية ورش ،قد تخلصا من تحقيق الهمزة، ولا غرابة في ذلك فهما أشهر قراء المدينة، ومن البيئة الحجازية التي اشتهر عنها عدم الهمز)) [٣].

ومن القراء الذين خالفوا بيئتهم ابن كثير(١٢٠هـ) الذي استخدم تحقيق الهمزة وهو مكي، ومكة اشتهر عنها التخفيف [٤]، وأبو عمرو بن العلاء كان يميل إلى تسهيل الهمز أو حذفها في قراءته وهو تميمي،وتميم تهمز[٥]،فكان يقرأ (يومنون) في (يؤمنون)، و(بيس) في (بئس)، و(بير) في (بئر) [٦].

ويمكن أن نعزو انعدام الاطراد الكامل في مسألة الهمزة في اللهجات إلى ما يأتي:

---

(١) في اللهجات العربية :٦٨.

(٢) الانسجام الصوتي في النص القرآني :٢٢٨.

(٣) في اللهجات العربية :٦٧.

(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية:١١٨.

(٥) أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو :٥٨.

(٦) السبعة في القراءات :١٣٣.

١- اللهجات لا تميل إلى المحافظة بل تهدف إلى التطور عكس اللغة الفصحى، فبعض أهل مكة كانوا يهمزون فينقطون (البريئة) في (البريّة)، و(النبيء) في (النبي)، و(الذريئة) في (الذريّة)، ويمثل ذلك شذوذاً في لهجة مكة فهم أهل تسهيل للهمز، ويمكن تعليل ذلك إلى عامل المحاكاة، أو أنهم شعروا بالنقص ؛لأن الفصحى تحقق الهمز في الكلمات السابقة وغيرها(١).

٢- خروج أهل الحجاز عن سليقتهم في تسهيل الهمز؛ لشعورهم بأن تحقيقها في الأساليب الأدبية من الشعر والخطابة أقرب إلى الفصحى والفصاحة، وجاء نزول القرآن بنبر الهمزة دليلاً على أن اللغة المثالية قد استحسنت ذلك(٢).

ثالثا- ما الحجازية والتميمية: ذكر سيبويه أن (ما) تدخل على الجملة الاسمية فترفع الاسم وتنصب الخبر في لهجة الحجاز ،كقوله تعالى ﴿مَا هَذَا بَشَرًا ﴾يوسف ٣١ ، ولا تعمل شيئاً في لهجة بني تميم ، فالحجاز يشبهون (ما) بـ (ليس) إذا كان معناهما واحداً ،وبنو تميم يجرونها مجرى(أمّا)و(هل) ، وهو القياس ؛لأنه ليس بفعل كـ (ليس)، ولا يكون فيها إضمار(٣)، ومثلما ذكر سيبويه أن اللهجة التميمية هي القياس، قال بذلك ابن جني في الخصائص أن (تميم) أقوى قياسا من الحجازية، ويبين قوة القياس عند تميم ؛لان (ما) عندهم كـ(هل)، في دخولهما مباشرة على صدري الجملة الاسمية والفعلية، وإنْ كانت اللهجة

---

(١) اللهجات العربية في التراث :٣٣٨/١.

(٢) دراسات في فقه اللغة :٧٨.

(٣) كتاب سيبويه :٥٧/١.

الحجازية أيسر استعمالاً والأكثر وجاء بها القرآن(١).

وينكر الكوفيون أن (ما) عند الحجاز تنصـــب الخبر؛ فهي لا تعمل وأن المرفوع بعدها باقٍ على ما كان قبل دخولها، والمنصـــوب فيها على إسقاط الباء ؛لأن العرب لا تكاد تنطق بها إلا بالباء، فإذا حذفوها عوضوا منها النصب عند حذف حرف الجر؛ وليفرقوا بين الخبر والمقدر فيه الباء وغيره(٢).

وتدخل الباء على خبر ما الحجازية ؛لتقوية النفي،وتدخل كذلك على ما التميمية،خلافا لأبي علي الفارسي والزمخشري؛ فعندهما تأتي الباء مع ما التميمية شـــذوذا، أما عند غيرهما فيجوز ؛لوجود ذلك في أشـــعار بني تميم ونثرهم كثيرا(٣).